يـقـــول زيـــادٌ، إذ رأَى الـــحـــيَّ هَـــجَّـــرُوا:
أرى الـحـيَّ قـد سـاروا فـهـل أَنـت سـائِـرُ[١]؟
وإِنـــي وإِنْ غـــالَ الـــتـــقـــادُمُ حـــاجـــتـــي
مُـلِـمٌّ عـلـى أَوطـانِ لَـيْـلَـى فـنـاظِـرُ[٢]

٧٧
المؤمِّل الحائر

[الطويل]

أَلا مـا لـلـيـلـى لا تُـرى عِـنْـدَ مَـضْـجَـعـي
بِـلَـيْـلٍ ولا يَـجْـري بـذلـك طـائِـرُ[٣]
بـلـى إِنَّ عُـجْـمَ الـطَّـيْـرِ تَـجْـري إِذا جَـرَتْ
بِـلَـيْـلَـى ولَـكِـنْ لـيـس لـلـطَّـيْـرِ زاجِـرُ[٤]
أَزالَـتْ عَـنِ الـعَـهْـدِ الَّـذي كـان بـيـنَـنـا
بِـذي الأَثْـلِ أَمْ قـد غَـيَّـرَتْـهـا الـمَـقـادِرُ[٥]؟

(١) هو زياد بن كعب، ابن عمّ الشاعر. يخبر زياد ابن عمّه قيساً بأنَّ الحيّ قد تهيّأوا للرحيل، ويستعلم منه إذا أراد أن يرحل وراءهم.
(٢) فيردّ الشاعر بأنّه لاحق بهم، مهما تقادم العهد، وسيعمل على الوصول إلى ليلى، ولن يتوقّف عن البحث عنها في ديارها.
(٣) جميل أن يحلم المرء بمن يحبّ، ولقد غاب طيف ليلى عن الشاعر مستغرباً أنّه لا يزوره حتى في المنام ليعيش لحظة حبّ واهم، وحتى لا يبشّره الطائر بمجيئها، فينعش نفسه.
(٤) زجر الطير: حمله على الطيران. والحقيقة أن الطير الأعجم الذي لا يُحسن نطقاً قد يأتيني بخبر عن ليلى، ولكن لسوء الحظّ لا يوجد من يدفعه ليوصلني إليها.
(٥) ذو الأثل: اسم موضع. يتساءل الشاعر هل تحوّلت ونسيت العهد الذي أبرمناه بيننا في ذي الأثل أم أن الأقدار فعلت فعلتها فغيّرتها من ناحيتي؟

فـوالـلَّـه مـا فـي الـقُـرْبِ لـي مـنـكِ راحَـةٌ
ولا الـبُـعْـدُ يُـسـلـيـنـي ولا أَنـا صـابِـرُ(١)
ووالـلَّـه مـا أَدري بِـأَيَّـةِ حِـيـلَـةٍ
وأَيِّ مَـرامٍ أَو خِـطَـارٍ أُخـاطِـرُ(٢)
وتـالـلَّـه إِنَّ الـدَّهْـرَ فـي ذاتِ بـيـنِـنـا
عـلـيَّ لـهـا فـي كُـلِّ حـالٍ لَـجَـائِـرُ(٣)
فـلـو كـنْـتِ إِذْ أَزمَـعْـتِ هَـجْـرِي تَـرَكْـتِـنـي
جَـمِـيـعَ الـقِـوَى، والـعَـقْـلُ مِـنِّـيَ وَافِـرُ(٤)
ولـكـنَّ أَيَّـامِـي بِـحَـقْـلِ عُـنَـيْـزَةٍ
وبـالـرَّضْـمِ أَيَّـامَ جَـنـاهـا الـتـجـاوُرُ(٥)
وقـد أَصْـبَـحَ الـودُّ الـذي كـان بـيـنـنـا
أَمـانِـيَّ نَـفْـسٍ، والـمـؤَمِّـلُ حـائـرُ(٦)

(١) يُقسم الشاعر أنه لا راحة له ولا سلوان؛ فالقرب منها، والبعد عنها، ولا صبره يساعده على نسيانها أو يسرّي عنه ما يُحسّ به من أحزان.
(٢) حيرة الشاعر لا حدود لها، وهو يُقسم بأنّ كلّ الأعذار التي كان يقدّمها والحيل التي كان يخترعها حتى يراها قد نفذت وقدُم العهد بها، حتى المخاطرة بالنفس أصبحت لا تجدي نفعاً.
(٣) يقسم الشاعر بأن الزمن حال بينه وبين من يُحبّ، وهو في عمله هذا ظالم للشاعر في كلّ حال.
(٤) أزمعتِ: صممتِ. ليلى قادرة ممسكة بمصير الشاعر، فهي عندما قرّرت هجرة الشاعر كانت قد استحوذت على مقومات الإنسانية لديه، سائر القوى والعقل، فلم يعد لديه ما يُمسك به من روابط الإنسان العادي لديه شيء.
(٥) و (٦) حقل عُنيزة، الرضم: موضعان. كانت أيامي في حقل عُنيزة والرضم أيام قُرب وتجاور، ولم أجنِ منها سوى القرب حيث لا لقاء ولا ودّ. لذا فقد أصبح الودّ سراباً وأمانيّ لا تتحقّق، وأنا حائر لا أعرف ماذا أفعل.

لـعـمـري لـقـد رَنَّـقْـتِ يـا أُمَّ مـالِـكٍ
حـيـاتـي وسـاقـتْـنـي إلـيـكِ الـمـقـادِرُ[١]

٧٨
العاشق المسحور

[الطويل]

هَـلِ الـوَجْـدُ إلَّا أَنَّ قَـلْـبِـيَ لَـوْ دَنـا
مِنَ الجَمْرِ قَيْدَ الرُّمْحِ لاحْتَرَقَ الجمرُ[٢]؟!
أَفِـي الـحَـقِّ أَنِّـي مُـغْـرَمٌ بِـكِ هـائِـمٌ
وَأَنَّـكِ لا خَـلٌّ هَـواكِ ولا خَـمْـرُ[٣]؟
فَـإِنْ كـنـتُ مـطـبـوبـاً فـلا زلـتُ هـكـذا
وإِنْ كـنْـتُ مـسـحـوراً فـلا بَـرَأَ الـسِّـحْـرُ[٤]

(١) رنقت: كدّرت. يقسم الشاعر لليلى أنّها سبب تعاسته، وحياته آلام وعذاب، فالقدر ساقني إليك في رحلة الحياة.
(٢) يسأل الشاعر إذا كان شوقه جعل قلبه يشتعل لهباً حتى لو اقترب من الجمر الملتهب قدر قيد رمح لأشعل الجمر الملتهب بسرعة وأدّى إلى احتراقه وجعله رماداً، وبقي لهب الشاعر على ما هو عليه.
(٣) يسأل الشاعر ليلى عن سرّ ما هو فيه، فهو مغرم بها يهيم وعلى وجهه في كلّ مكان، ومن المعلوم أن الحبّ يسكر الروح والقلب، ولكن هواها ليس خمراً فيُسكر ولا هو خلّ فيفيد في الشفاء، إنه كأس عذاب وألم.
(٤) مطبوباً: مريضاً يطلب الدواء. يدعو الشاعر على نفسه بأن يبقى على حالته، فلو كان مريضاً فإنه يتمنّى أن يبقى كذلك، وحتى لو كان مسحوراً فإنّه يتمنّى ألا يشفى من هذا السحر العجيب رغم عذاباته.